حديث مع عفيف البزري

سجله مالك المفتي في 22 حزيران عام 1991
في دمشق

ما هي الأسباب الرئيسية التي دفعت القيادات المدنية والعسكرية في سوريا الى التقارب مع مصر في منتصف الخمسينات ؟

-ان التقارب مع مصر كان لسببين: السبب الأول والأساسي أنهما قطران عربيان.. والسبب الآخر هو أن الاتجاه السياسي كان واحدا في ذلك الوقت ما بين الحكم في سوريا وما بين الحكم في مصر. اذا السبب الأول وهو أنهما قطران عربيان يجعل من الطبيعي تقاربهما. والسبب الثاني المباشر الذي قربهما هو أن الخط السياسي كان واحدا..

محاولات العراق لسحب سورية الى وحدة معها - هل دفعت سوريا نحو مصر؟

-لا، يعني هذا طبعا أننا نستطيع القول بأن الحكم في العراق في ذلك الوقت كان يشكل عائقا لسياسة الوحدة السورية - المصرية. لم يكن عائقا يعرقل بالطبع مشاريع الوحدة.. وأنصاره هنا...

-حزب الشعب؟

-نعم حزب الشعب.. لكن أن تستنتج أن العراق هو الذي جعل سوريا تندفع نحو مصر فهذا غير صحيح! السياسة السورية في ذلك الوقت، ولنحدد تماما، كانت سياسة الجبهة الوطنية التي كانت قائمة في سوريا وهي التي جعلتها تتقارب مع مصر، لأن الخطين السياسيين متشابهين. وهنا أريد أن أنبهك لأمر: هناك أقوال وحكايات كثيرة كتبت عن الوحدة مابين سوريا ومصر أو التقارب السوري المصري. بعض الناس يقولون أن الجهة الفلانية هي التي كانت دافعة للتقارب، ويأتي أناس آخرون ويقولون ما قلته حضرتك، بأن العراق لكثرة ما تآمرت على سوريا رمت سوريا نفسها في أحضان مصر كي تحمي نفسها منها. وأناس يقولون أنه بسبب الاختلافات السياسية في سوريا أو غيرها.. كل هذا هراء. الواقع هو أن الشعب السوري، ككل شعب عربي، بل ككل شعب في أي مكان في العالم، لما تكون سياسته متقاربة مع شعب آخر فانهما يلتقيان. ولا يجب أن نعزو الأمر الى سبب آخر هو ثانوي بالنسبة لهذا السبب.
ان الوحدة ما بين سوريا ومصر قيل عنها هنا أشياء كثيرة، وكتب عنها كتاب ذو غرض، لأن الكتاب برأيي دائما ينبع من جهة لها غرض: خذ مثلا "باتريك سيل"

الذي كتب كثيرا عن هذه المواضيع.. باتريك سيل جعل الحكاية مثل قصة عنتر! الفلان الفلاني والعلان العلاني والى آخره، وأن الناس هنا كانت تضرب بعضها بعضا.. والمصريون أيضا، جماعة عبد الناصر، كي يعزوا لأنفسهم الأمر كتبوا أشياء غير صحيحة..

– حتى السوريين مثل خالد العظم!

– خالد العظم أيضا كانت له مصلحة، الوحدة ضيعت على خالد العظم رئاسة الجمهورية..

– وخالد بكداش؟

– خالد بكداش كان ضد الوحدة لأن سياسة الاتحاد السوفياتي لم تكن مع الوحدة..

ماهي حقيقة المخاوف الأميركية من الشيوعية، وما هي حقيقة علاقاتكم مع خالد العظم وخالد بكداش؟

علاقتي بهم هي الجبهة الوطنية فقط.. الذي كان فيها البرجوازية والتجار السوريون، وكان فيها البعث، وكان فيها الشيوعيون، وكان فيها الحياديون.. الذي جعلني أدخل الجبهة هي المؤامرات التي كانت تحاك على سورية.. طبعا أنا بالنسبة لي لم تكن هذه الأحداث جديدة، فطول عمري أعمل ضد الأخطار التي يتعرض لها وطني. الفرنسيون في عام 45 أوقفوني وسجنوني.. كنت ضابطا في الـــTroupes Specials ، التي كانت تابعة للقيادة الفرنسية في ذلك الوقت.. وفي عام 41 التحقت بثورة رشيد عالي الكيلاني، وحكمت بالاعدام من قبل السلطات الفرنسية وبعد ذلك عدت في ظروف مناسبة الى الجيش. وفي عام 45 أوقفت وسجنت في بيروت ثم فررت من السجن والتحقت بالحكومة الوطنية التي تشكلت في دمشق.

ان عملي السياسي لم يكن جديدا علي ما دام في خدمة الوطن. كنت ألتقي مع كل ما يجمع الناس للدفاع عن الوطن.. أما مسألة أنني كنت أتظاهر بالوحدة وأنني كنت منتميا للحزب الشيوعي، وأن عندي آراء اشتراكية كما اتهمت حينذاك فأنا لم أنتم في حياتي الى أي حزب، الا عندما كنت طالبا في الثانوي فانني انتميت لعصبة العمل القومي، أما الحزب الشيوعي فما انتميت اليه. كان بينهم أصدقاء لي وأنا انسان تقدمي أكره الظلم وأناضل في سبيل الحرية، حرية الانسان. وأقف ضد كل تعسف وعدوان عليه أو انتقاص لذاته. أنا مناضل بهذا المعنى، ضد

المستعمرين، عدو للمستعمرين أو أن المستعمرين أعدائي. الاستعمار القديم والجديد أيضا.. فهذا اذا كان يسمى عند البعض شيوعية فهذا بحث ثان.. بالعكس أنا ربيت في بيت محافظ، متعصب جدا للاسلام..

أيمكن أن يكون الأمريكيون خافوا لما أزيح الضباط الميالون لأميركا؟

لا.. لا، نحن لم نزح أحدا. كل من سرحناهم لا يزيدون عن 6-7 ضباط. وهؤلاء لن يؤثروا على الجيش. ونحن لم نسرحهم لأنهم موالون لأميركا، لا. بل لأنهم تآمروا. لقد سرحوا بجرم التآمر وليس لأن عواطفهم كانت مع أميركا، ان "ستون" اتصل بهم وتآمر معهم فسرحناهم. وهم كلهم بضعة ضباط وأكثر من ذلك لا يوجد شيء آخر..

كيف تفسرون تحول صبري العسلي من الاتجاه العراقي الى الاتجاه المصري؟

قصة العراق وعلاقتنا به قصة طويلة. والخلاف مع العراق له أسبابه. ليس فقط صبري العسلي كان مع العراق، البعث كان أيضا مع العراق..

-أيام الحناوي؟

-أيام الحناوي وبعد الحناوي وقبل الحناوي. دائما.. يعني.
بقي هنا الجواب على السؤالين: نحن ابتعدنا عن العراق الذي يتحكم فيه الانجليز. حلف بغداد ماهو؟ حلف انجليزي. اقتربنا من مصر لأن مصر كانت تناضل ضد الانجليز. عكس العراق.. فنحن بطبيعة الحال مع مصر ولسنا مع العراق سياسيا.. يعني حدث هنا تغير في الرأي. البعث الذي كان انجليزيا قبل، وانقلب لم يعد انجليزيا، الذي كان عراقيا انقلب وصار ضد العراق، مع مصر التي هي ضد الانجليز..
صبري العسلي خجل بالطبع. قال هذا لا يجوز.. لحق التيار وصار مع مصر. أناس اندفعوا عاطفيا وأناس اندفعوا عاطفيا ومصلحيا أيضا. صبري العسلي أيضا كان من مصلحته ذلك..
مالذي جعلنا نختلف مع مصر بعد ذلك ؟ أنا مثلا لماذا اختلفت مع عبد الناصر؟ لماذا حدث الانفصال؟ لأنه ما كان هناك synchronisation مابين الوضع السياسي في سوريا والوضع السياسي في مصر. مصر كانت لا تزال في مواجهة الاستعمار القديم بينما نحن انتهينا من القديم، لأننا أخرجناه من بلادنا وبدأ صراعنا مع الجديد الذي تتزعمه أميركا. فما عاد عقلنا ينطبق على عقل مصر. وفي غياب هذه المطابقة حدث الاختلاف في الرأي..

-علاقات مصر مع أميركا كانت جيدة في ذلك الوقت؟.

-طبعا.. في الوقت نفسه كانت أميركا تساعده.. لماذا كانت أميركا تساعده ؟ لأن الأمر يهمها. فكل حركة ضد الاستعمار القديم كان يساعدها حتى تبني هي النظام الجديد. النظام الذي بنته أميركا لا يتحمل امبراطوريات قديمة. ان هذه الامبراطوريات هي عبارة عن اقطاعيات..
لكن مشكلتنا نحن أننا أصبحنا نطلب مساعدة أميركا التي هي وراء اسرائيل. يعني أن المشكلة بيننا وبين أميركا هي اسرائيل.. أما بالنسبة لمصر فان صراعها وقتذاك كان مع الانجليز.
وكما ترى، ليس العراق هو الذي دفعنا، لا، ان الوضع العالمي هو الذي جعلنا ننتهج هذه السياسة..

كيف ولماذا تحولت فكرة الاتحاد مع مصر في سوريا الى فكرة الوحدة الاندماجية؟

-ها.. طرحت أسئلة كثيرة في هذا الشأن. وما اقترحته أنا في مفاوضات الوحدة هو الاسلوب الحديث في العالم: أي الاتحادات. خذ مثلا الدول العظمى، ألمانيا عبارة عن اتحاد. الولايات المتحدة الأميركية, ولايات، الاتحاد السوفياتي أيضا... ضربت لهم الأمثلة وقلت لهم أن من الأفضل أن نسير على هذا الطريق – طريق الاتحاد وليس الوحدة. لكن طبيعة عبد الناصر لا تتحمل هذا الشكل. وكانت الوحدة... كان من الممكن أن لا تحدث أبدا لو لم نراع رغبة عبد الناصر وجماعته. على كل حال، لو فرضنا الاتحاد فان دكتاتورية عبد الناصر سرعان ما كانت تقلبه الى وحدة.

هل كان أحد في سوريا، عسكري أو مدني يفضل الوحدة على الاتحاد؟

-لا، الأمر حدث على طبيعته أثناء المباحثات. على كل، في أول الأمر صار اتحاد. ان ما تبلور كان اتحادا. اذ صار حكم في سوريا، سموه الاقليم الشمالي، وحكم في مصر. ونائب رئيس جمهورية في سوريا يحكم في سوريا، ونائب رئيس جمهورية في مصر. والرئيس عبدالناصر رئيس على القطرين الشمالي والجنوبي..
لكن من الناحية العملية، مباحث عبد الناصر وجماعته يريدون لمصر أن تكون لها اليد العليا. لقد تغلغلوا وجعلوا من الحكم المحلي عبارة عن حكم كراكوز.. أما من ناحية دستورية فما كان الذي جرى اندماجا. وحتى يوم الانفصال، كان شبه اتحاد من ناحية قانونية.

أول خطوة كانت ذهاب الوفد العسكري بقيادتكم الى مصر. لماذا؟

-طبعا.. لو لم نذهب نحن لما حدثت الوحدة، لا تستمع لأحد..

-والسياسيون، ألم يكن عندهم علم؟

- لا، لا، لأنهم لم يكونوا يريدون الوحدة.. ما حدا بده وحدة (ضحك) حتى عبد الناصر لم يكن يريدها!..

السيدة بزري- لولا مبادرة عفيف، لما صارت الوحدة!

-حتى حزب البعث لم يكن يريدها؟

الفريق بزري-حزب البعث كان يريد وحدة حتى يحكم سوريا باسم عبد الناصر.. يريد من عبد الناصر أن يسلمهم سوريا ويقول "احكموا أنتم في سوريا وأنا في مصر. ولكن عبد الناصر لم يكن يريد مثل هذا الوضع..
... أنا وجدت أن الفرصة ملائمة لقيام الوحدة التي كانت أمل كل عربي مخلص، قلت نعرض الوحدة على عبد الناصر. بما أنهم جميعا يقولون بالوحدة، فلتكن وحدة، وحدة لا يجرؤ أحد على معارضتها في سوريا.. الجماهير تقوم قيامتها عليه.. الحقيقة الجماهير سكرت بهذا الحدث الذي حقق آمالها.. من كان يجرؤ في تلك الساعة أن يقول لا أريد وحدة.. الجماهير تخلع رقبته.

-لكن بما أنكم كنتم تعرفون أن البعث يريد الوحدة ليستغلها لماذا..؟

السيدة بزري – الوحدة ملزمة بينما الاتحاد...

الفريق بزري – قبل الوحدة، جرت محاولات تهريج، تمثيل. مثلا جاء السادات مرة الى هنا، فدعاه مجلس النواب عندنا ليترأس جلسة. ووضعوا علمين أمامه: سوري ومصري. وذهب أكرم الحوراني أيضا الى مصر وترأس المجلس المصري هناك. وهكذا! وهذه في رأيهم وحدة.. مظاهر غير حقيقية لايهام الجماهير..
ومرة جاؤوا يريدون أن يعملوا قيادة واحدة للجيشين.. أنا كنت طبعا في الأركان، كنت رئيس الشعبة الأولى.. مستحيل.. لا يمكن أن تتشكل قيادة دون وجود وحدة دستورية. أي أن الجيشين لا يمكن أن يتوحدا ان لم يكن هناك وحدة دستورية.
نحن في الجيش كنا نرى هذا التهريج ونعلم انهم يفعلونه حتى يهدئوا الناس.. وذات يوم وجدت أن الأمور ناضجة لتحقيق هذا الحلم.. كان أحد أيام كانون الثاني

عام 58 – جمعت مجلس الضباط وكلي ثقة أن ما سأعرضه عليهم سيقبلونه. انني حين أصبحت رئيسا للأركان شكلت مجلس الضباط وكانت المادة الأولى في دستوره هي أن نسعى الى الوحدة.. كان هذا في شهر آب من عام 57 عندما قمت بهذه الخطوة.
جمعت مجلس الضباط وأنا واثق بأن ما سأطرحه عليهم سيقررونه. ذكرتهم بالمادة التي وضعناها "نحن نسعى الى الوحدة" وقلت لهم أن المحاولات، المظاهرات الوحدوية الفارغة، هي عبارة عن تهريج. فالى متى علينا أن ننتظر؟ واقترحت أن نذهب في وفد الى مصر ونعرض الوحدة على عبد الناصر من الجيش. وفي الوقت نفسه نكتب رسائل الى رئيس جمهورية سوريا ورئيس الوزراء ورئيس مجلس النواب: رئيس الجمهورية شكري القوتلي، ورئيس الوزراء صبري العسلي، ورئيس مجلس النواب أكرم الحوراني، ولوزير الدفاع خالد العظم، باعتباره من الجيش.. وقلت لهم "نحن من هذه الغرفة نذهب رأسا الى المطار.. لاأحد من الوفد يذهب الى بيته أو يتصل بعائلته ويخبر بالأمر.. " وكنت قد هيأت للسفر كل شيء.. الطائرة التي ستقلنا..
تركت في دمشق الرسائل التي كتبتها ليأخذها معاوني أمين النفوري وعبد الحميد السراج الى الحكومة، وأفهمتهم أن هذا ليس انقلابا، ونحن لا نقوم بانقلاب حتى نحكم، بل نقوم بخطوة وحدوية..

كلكم، أنتم والنفوري والسراج كان عندكم نفس المشاعر الوحدوية؟

–طبعا، طبعا، طبعا. المسألة ليست مسألة مشاعر، لاتهم مشاعر الأفراد.. ما يهم هو مشاعر الجماهير.. نحن نستجيب الى طموح الجماهير.. ماهي مصلحتنا نحن أن تكون كل دولة عربية لوحدها؟ هاهي أوروبا تصنع وحدة هي وأميركا..

أما كان أحد من السياسيين عنده خبر؟

–بالنسبة لهذه الحركة الوحدوية لم يكن من أحد عنده خبر، أبدا. وأنا فكرت في الأمر ظهرا ونفذته مساء..

ألم تكن هذه الحركة موجهة ضد أي حزب سياسي؟

–أبدا، أبدا، لا ضد أية فئة ولا ضد أي حزب..

(عند هذه النقطة قام الفريق بزري وأحضر صورة تضم أعضاء الوفد مع عبد الناصر أخذت بعد دقائق من موافقة عبد الناصر على قبول الوحدة. والصورة تضم: عفيف البزري، أكرم ديري، جمال صوفي، جادو عز الدين،

مصطفى حمدون، حسين حدة، طعمة العوض الله، بشير صادق، عبد الغني قنوت، أحمد حنيدي، ياسين فرجاني، وكانوا أربعة عشر ضابطا. وقد بقي السراج والنفوري في دمشق لتسليم الرسائل. وسألته اذا كان أحد من هؤلاء له علاقات مع الأحزاب.)

-لا، لم نتركهم يتصلون مع الأحزاب.. لا يخلو الأمر من صداقات وقرابات قبل هذا ولكن مثلا بخصوص هذه الحركة بالذات.. أبدا.. أم يوسف، زوجتي، ما كان عندها خبر. وأنا نفسي لم أذهب الى البيت. ولا تغديت يومها في بيتي.. بقيت في القيادة، استدعيت هذا المجلس، وقررنا الذهاب في الليلة نفسها الى القاهرة والقيام بهذه العملية.
أما ماقيل بأنه كانت هناك انقسامات في سورية، وأنه لولا الوحدة لكان الضباط قاموا على بعضهم وقتلوا بعضهم فهذا هراء.. كلام غير صحيح أبدا. الصحيح هو أن الخلافات موجودة في كل مكان وفي كل دولة ولكن هذا لايعني احتمال حدوث أي شيء.. كانت هناك آراء متباينة قبل الوحدة أما ما دفع اليها فهو الجماهير.. انها تربيتنا نحن.. نحن دائما وحدويون..

لكن خالد بكداش وأكرم حوراني مثلا، ما كانوا وحدويين لكنهم دعوا الى الوحدة فيما بعد.

-ارضاء للجماهير.. وأنا حسبت حسابي على هذا الأساس: أن أحدا لن يجرؤ على اعتراض الوحدة.. قيادة الجيش لم تجبر أحدا بالسلاح. لم ننزل الدبابات الى الشوارع.. بعثنا رسائل فقط. قلنا لهم نحن ذاهبون لعرض الوحدة على مصر، نرجوكم أو ندعوكم الى المبادرة لتحقيق الوحدة ما بيننا وبين القطر الشقيق مصر. ماذا كان بوسعهم أن يقولوا "أنتم قمتم بعصيان؟" ليحاكمونا ! لو فعلوا فان الناس تقوم عليهم.

لكن، موقف الشيوعيين؟

-الشيوعيون لهم موقف آخر، معقد قليلا.. أولا، لهم موقف الاتحاد السوفياتي. الاتحاد السوفياتي لا يريد اغضاب أميركا، لا يريد مشاكل في المنطقة..

لما رجعتم الى دمشق، ماذا كان رد فعل السياسيين؟

-خرجوا لاستقبالنا بالأهلا والسهلا.. على كل حال، شوف ياأستاذي. الانسان عليه أن يأخذ الوضع الداخلي في ذلك الوقت.. الوضع الداخلي كله وحدوي.. الشيوعيون لا يشكلون الا قليلا بالنسبة لمجموع الناس. السياسة الأميركية كانت

تبالغ في قوة الشيوعيين، حتى تضرب الحركات الوطنية التي هي ضدها. كل ما هو ضد السياسة الأميركية في المنطقة هو شيوعية عندهم. هذا غير صحيح. الشيوعيون كان لهم نائب واحد في البرلمان هو خالد بكداش. والذين انتخبوه ليسوا شيوعيين بل هم تجار الشام.. حتى خالد بكداش ينطر خالد العظم، وخالد العظم ينطر خالد بكداش. أي كل منهما يكون رقيبا على الآخر.. خالد بكداش نال 40000 صوت.. لو أراد الاعتماد على أصوات الشيوعيين ماكان ينال 5000 صوت ولا 4000، ولا 3000 , ولا 2000 صوت.. لايوجد ألفا شيوعي في دمشق..

في الجيش ألم يكن هناك اتجاهات ضد الوحدة أبدا؟

-الجيش بشكل عام من الشعب.. الضباط الممتهنون، كلهم وطنيون، يريدون قوة بلدهم.. مع مصر نصبح قوة. أما أن يكون هناك شذوذ: اثنان ثلاثة فهذا موجود أينما كان.

أمين النفوري كان يحسب على الحزب الشيوعي مرات، على خالد العظم...

أمين النفوري الآن مات.. رحمه الله كان انسانا وطنيا، ملتزما بالخط الوطني الى أن توفي. اذا فهو كان صادقا مع الشيوعيين والبرجوازيين و... غيرهم.. كانت له علاقات مواطن مع كل الأطراف الذين هم من وطنه.. علاقات صداقة، لكن علاقات الصداقة لا تعني أن لديه آراء مماثلة من الناحية السياسية.. الذين كانت له معهم علاقات كان رأيه مثل رأيهم في النواحي الوطنية العامة..

لكن خالد العظم كان وطنيا ولكنه ضد الوحدة.

... خالد العظم خاف على رئاسة الجمهورية أن تضيع منه.. وليس على قضية أن تدخل...
بعد الاستقلال.. خالد العظم حتى يضمن الرئاسة قال لنفسه "لن أضمنها الا بدخول الجبهة الوطنية التي كانت قائمة بين البعث والشيوعيين وغيرهم" مسألة التسلح من روسيا، مثلا، كان هو أول مؤيد لها، بينما البرجوازية كانت خائفة أن تتحول البلاد الى شيوعية.. ثم أصبح الأمر مفروغا منه أن سوريا لن تصبح شيوعية عندما تأخذ دبابات من روسيا!..
اذن الجبهة الوطنية رشحت خالد العظم. السعودية ومصر كانتا تريدان شكري القوتلي.. وهذا لايعني أن شكري القوتلي كان مع مصر أو السعودية.. ان شكري القوتلي انسان عربي، قومي عربي، مناضل ضد المستعمرين القدماء، برجوازي يريد حصته كبرجوازية وطنية..

فكان من تأثير مصر والسعودية أن تغلب شكري القوتلي على خالد العظم وصار رئيس جمهورية، خالد العظم قال "غدا تنتهي ولايته والولاية الثانية لي أنا".. لما صارت وحدة أمله بالمنصب ضاع نهائيا.. ماذا سيكون؟ اقصى منصب هو أن يصبح وزيرا.. ومعنى هذا أن موقفه كان ضد الوحدة..
شكري القوتلي لم يكن ضد الوحدة.. بالعكس.. أنا أفسر الأمر أنه كان مبسوطا بها لأنها تحرم خالد العظم من رئاسة الجمهورية، ولأن ولايته هو كانت ستنتهي في السنة التي صارت فيها الوحدة.. في 58 كان يمكن أن يخسر عاما من ولايته أو بضعة شهور، لكنه ضمنا كان مسرورا لأن خالد العظم لن يصبح رئيس جمهورية..
ثم ان من كتب مذكرات خالد العظم ليس هو خالد العظم. فمن الناحية الثقافية لم يكن لخالد العظم المقدرة أن يكتب هذا الكتاب الطويل العريض. لقد كتب له بالطبع تحت اشرافه. والكاتب جعله شخصية. ليست هذه مذكرات خالد العظم. وهي كتابة انسان مغرض أيضا.. خالد العظم ثقافته ابتدائية من الأول اعدادي (صف تحضيري) دخل الحقوق. كانت كلية يدخلون فيها دون شهادة ثانوية.. فالتحق بالجامعة السورية وبقي ثلاثة أعوام حصل فيها على الشهادة. وثقافته محدودة لأنه لايطالع "على قدها".

-وشكري القوتلي؟

-شكري القوتلي لا.. شكري القوتلي مثقف. وذكي جدا وشخصيته قوية.. مع العلم أنني أنا في الجبهة الوطنية كنت من المتحمسين لمجيء خالد العظم. لماذا؟ لأنه كان ينفذ الخط الذي تحبذه الجبهة الوطنية في ذلك الوقت.. الخط القومي ضد التدخل الأميركي في شؤون سوريا. أنا كنت متحمسا كثيرا له، وضد شكري القوتلي..
من ناحية شخصية هناك فارق كبير بين الاثنين، فرق كبير جدا.. شكري القوتلي مثقف أكثر منه، شخصيته أقوى، وله تاريخ نضالي وطني، أبو الاستقلال.. مع العلم أنني كنت معارضا لاعادته الى الرئاسة عام 55..

ماذا عن عبد الناصر ؟

-والله مما لا شك فيه ولا ريب أن عبد الناصر مناضل قوي ضد الاستعمار القديم. وكما قلت لك من قبل أن أميركا كانت تساعده في ذلك الوقت، ليس له فقط بل لجميع الحركات التي كانت تناضل ضد الاستعمار القديم حتى تكنسه من المنطقة فيتاح لها أن تبني ما بنته بعد الحرب. كانت أميركا تساعد عبد الناصر على هذا الأساس. أولا كانت لها صلات بضباط الثورة وبعبد الناصر بالذات قبل الثورة. لماذا؟ لأن أميركا تعتقد أن الحكم القديم، حكم فاروق ميال للتقاليد.. وهي

علاقات عائلته بالمستعمرين القدماء.. وليست له شعبية كبيرة في مصر. فعندما انسان يكون ثائرا ضد الانجليز مثل عبد الناصر، فان أميركا تدعمه بكل قوتها. حتى أثناء تأميم القناة، أميركا ساعدته.. وهذا الشيء بالذات هو مصدر الخلاف ما بين الحركة الوطنية السورية ونظام عبد الناصر في مصر. عبد الناصر لم يكن يفهم بأي شكل من الأشكال أن أميركا هي دولة مستعمرة. لكن هذا لايعني أن عبد الناصر هو عميل لأميركا.. لا ليس هناك عمالة في هذه الأيام بالمفهوم القديم. كانت سياسة بلده في ذلك الوقت تقتضي اخراج الانجليز، والأميركان يريدون مساعدته فما كان بوسعه معاداة الأميركان.. ثم لما خرج الانجليز من مصر كان يريد مساندتهم في أمر أو في آخر، فكان يحاول ارضاءهم بشكل عام.

... عبد الناصر لأسباب داخلية أيضا يستند على قوى اجتماعية في بلده ضد الشيوعية. عنده الأزهر مثلا.. هو بأساسه كان مدة مع الاخوان. تربيته تجعله يكره الشيوعيين. فداخليا وخارجيا كان ضد الشيوعيين..

لكن قبل أن يخرج عبد الناصر من المسرح السياسي كان مناضلا قويا أو مناضلا من المناضلين الكبار ضد الاستعمار القديم. وله الفخر أن يكون أبا الاستقلال وجلاء الأجنبي عن مصر. هذا مالا يستطيع انسان ان ينكره عليه أو يحرمه منه. لكن عبد الناصر يبقى كمخطط لايريد ازعاج أميركا اذا لم تزعجه.

نحن في سوريا مخططنا كجبهة وطنية كان ضد اسرائيل- قضية فلسطين هي أهم شيء ولا يجوز أن ننساها أبدا حتى نفهم الأمور. أميركا هي التي مكنت اسرائيل. يوم التصويت بشأن اسرائيل أقامت الدنيا وأقعدتها حتى تصبح اسرائيل دولة اسرائيل..

ماذا كانت أولوياتكم عندما سافرتم الى مصر مع الوفد العسكري؟

-الأولوية، الشيء المباشر، أن تتشكل قوة سد تجاه اسرائيل.. أن يتوحد الجيشان السوري والمصري. واذا كانا بقيادة واحدة أفضل، وفي دولة واحدة أفضل.. هذا هو المهم. نحن نشعر ليلا ونهارا أن الخطر يأتينا من اسرائيل وليس من روسيا.

... هذا هو السبب الذي جعلنا نسعى للوحدة، لاكما يذكر حسنين هيكل أو باتريك سيل.. الذي كان يضغط علينا حينذاك هو نفسه الذي لا يزال يضغط علينا.. اسرائيل وأطماعها التوسعية..

[الفريق بزري عند هذه النقطة يتحدث عن تجربته المحبطة وخيبة أمله في حرب فلسطين كقائد لكتيبة المدفعية في عام 48]

السيدة بزري – ان الذي خاض المعركة في فلسطين يشعر تماما بضرورة الوحدة في العالم العربي.

الفريق بزري- ولذلك، القضية الفلسطينية هي الأساس. وعواطف الجماهير هنا معها.. من كان يجرؤ أن يقول لا، لانريد وحدة؟ لا أحد. لكن السياسيين، عبد الناصر ماذا كان يريد؟ يريد أن يخرج الانكليز، والانجليز خرجوا. لم يعد هناك حاجة لديه ليحتمل عبء فلسطين.. يريد سوريا أن تكون في جيبه. الحكومة هنا: خالد العظم يريد رئاسة الجمهورية، البعث يريدون وحدة يستلمون هم شؤونها، عبد الناصر لايريد أن يسلمهم سوريا.. يريد الأمور في يده لا بيد البعث. فلذلك كانوا متجمدين،
"لانريد وحدة مع هذا الدكتاتور، كذا، الى آخره". لكنهم لا يجرؤون صراحة على هذا القول. فحساباتنا حينذاك، حساباتي أنا، أنني ان قمت أنا بالوحدة لن يجرؤ أحد على معارضتها. يبهدل نفسه وسيأتون كلهم للوحدة. جمعت الضباط يومها ومنعتهم أن يرجعوا الى بيوتهم حتى لوداع أهلهم. قلت لهم من هنا الى المطار. نصعد الطائرة الى مصر، نعرض موضوع الوحدة على عبد الناصر بشكل جدي هذه المرة.

... نحن نفذنا ما يريده الرأي العام. فليس هذا انقلابا. هناك فرق بين أن نقوم بانقلاب ويوظف بعضنا بعضا وبين ما فعلناه. دعونا الناس أن يتوحدوا ليقفوا تجاه العدو ولا أحد يقدر أن يحاسبنا على هذا الشيء أبدا..

أيضا عبد الناصر لم يستطع الرفض.

عبد الناصر لم يستطع الرفض، يتبهدل، يتبهدل..

في البداية قاوم فكرة الوحدة؟

-لا. استمع الى الخطاب الذي ألقيته. بعدما انتهيت قلت له "أنت في وضع الآن مسؤول تاريخيا. قبلت أو رفضت، كلمتك كلمة تاريخية".. عبد الناصر ذكي ملعون وحوله كل جماعة الثورة موجودون. "أنا أقول هذا والتاريخ يشهد ويسجل والباقي عليك".. قال "الليلة عيد ميلادي وبهذه المناسبة أعلن قبولي للوحدة". هذا ما جرى ..

متى ولماذا تركتم الجيش؟

-أنا لم أترك الجيش ولم أستقل.. هم غدروا بي.. بدأوا حينذاك، مباشرة بعد الوحدة، ينسقون.. جاء جماعة عبد الناصر، يعني المباحث الى هنا "نريد أن ننقل ضباطا سوريين الى مصر ونحضر مصريين نضعهم هنا ونسرح.." أول ما طلبوه مني هو تسريح 102 ضابط فلسطيني هم من خيرة الضباط وطنية. "لماذا نسرحهم؟ ما السبب؟" قلت لعامر "البارحة حدثت الوحدة. الناس يقولون لماذا

هؤلاء سرحوا؟ هل هم أعداء الوحدة؟ خونة؟ والمساكين كانوا من أشد أنصار عبد الناصر حماسا بين الضباط.

السيدة بزري- وهؤلاء أيضا كانوا من أنصار عفيف باعتباره كان يدافع عن قضيتهم.

الفريق بزري- والله ما كنت أبالي بمن هم معي. ما كنت أكتل فئة من الجيش حولي.. وأنا حين تقاتلت معهم في الليلة التي حدثت فيها المناقشة الحادة ما بيني وبين المشير عامر، لم تكن من أجل الفلسطينيين وحدهم بل من أجل البعثيين أيضا.. كنت غاضبا بسبب سياسة اضعاف الجيش السوري.. يريد أن ينقل البعثيين الى مصر، وكان ذلك في شهر نيسان 1958 قلت له "لماذا تنقلهم؟ من جملتهم عبد الغني قنوت.. هل مصر منفى؟.. لا يجوز هذا الكلام.. كانت المناقشة بيننا حادة.. قلت لعامر "تجربتكم في السودان الم تردعكم حتى الآن؟ هل أخذتم سوريا في احتلال عسكري أم أننا نحن الذين سعينا الى الوحدة؟ ان الوحدة بهذا السلوك لن تدوم".

تكرر مثل هذا الموقف لأسباب مختلفة.. كنت في القاهرة في المناقشة الأخيرة مع عبد الناصر وفي اليوم التالي قرأت مثل غيري في الصحف نبأ استقالة فلان، بدون أن أقدم استقالتي.

نقاط ذكرها الفريق بعد أن أوقفت التسجيل:

1 - عندما كانوا يتباحثون في الجبهة الوطنية عن عدد المقاعد النيابية التي ستساندها الجبهة في الانتخابات القادمة طالب خليل كلاس البعثي ب 51% من المقاعد فعارضه البزري قائلا "وماذا عن باقي أعضاء الجبهة ؟ وأصر كلاس على موقفه قائلا هذا هو وضع البعث بينما لم ينجح في المرة السابقة الا بـــ 17 مقعدا. فأجابه البزري بأن هذا غير معقول، ورفض بالتالي مطلب البعث.
وأضاف البزري بأن البعث لو نال ما يريد، لما طلب الوحدة مع مصر. وكما حدث، فان أكرم الحوراني أصبح على صلة وثيقة بالسفير المصري محمود رياض. واعتادا السهر سويا حيث كانا يشربان ويستمعان الى غناء فيروز في الحفلات الخاصة..

2 - وفي سؤال آخر عن الأحزاب في داخل الجيش، أكد البزري بقوله أنه كانت هناك ميول عند ضباط الجيش بالطبع: اشتراكية، برجوازية الخ.. ولكن ليس صحيحا أنه كانت هناك خلايا حزبية في داخل الجيش. الصداقات والروابط العائلية كانت موجودة ولكن ليس هناك انتماءات حزبية رسمية. وكثيرا ما كان الضباط

يغيرون ولاءهم أو يتنافرون مع مختلف الأصدقاء المدنيين. مثلا الحوراني والشيشكلي.

3 - عند هذه النقطة قالت السيدة بزري أن الحوراني كان حقا خائفا من شعبية عفيف داخل الجيش. وقال لوالد عفيف يوما حين التقى به "ان ابنك لم يترك لنا دورا". وأكد الفريق بزري بنفسه بأنه كان له في قلب الجيش موالون أقوياء وكثيرا ما كانوا يحثونه على استلام السلطة بانقلاب يصبح معه دكتاتورا عسكريا ولكنه كان يرفض دائما حتى لا تحرم سوريا من الديموقراطية!..

* * *